نـافـذة

توطين الدين

غدت الحاجة ماسة جداً وضرورة إنسانية، تطالب بها المجتمعات العالمية قبل سياساتها، من حيث ما وصل إليه العالم العربي وديانته الأولى الإسلامية والتشويه لصور إنسانها وصورتها من خلال اعتناق مريديه لتفاسير التشدد التي تدعو إلى الجهاد عند الطلب لنصرة أفكاره وإخوته، يتوافدون إليه أينما كانوا، وأيضاً عدم قبوله للاندماج ضمن المجتمعات الأخرى، وإن على الآخر قبوله وتقبله كما هو، بل أكثر من ذلك مطالبته للآخر بأن يكون على شاكلته، وإلا فإنه كافر، وإن عليه قتاله أو دفعه للجزية، أو طرده من أرضه ووطنه.

الإشكال الكبير الذي وقع به المسلم هو استمرار تمسكه بشمولية الدين وعدم استيعابه لفكرة أنه ينبغي توطينه في داخله، كي يفيض عليه ألقاً وتألقاً، هذه الشمولية التي لم يستطع التخلص منها، حصرته ضمن فكرتها العامة، ولم تأخذ به إلى خصوصيته، التنوع مطلب إنساني وحياتي، وإلا لكانت البشرية على صورة واحدة، ولون واحد، ودين واحد، ومذهب واحد، وأيضاً لم ينتبه إلى ما جرى مع الديانات الأخرى، ومثلنا المسيحية التي تعتبر الديانة الأولى في العالم، إلا أنها ورغم شمولية الفكرة، فقد استطاعت من خلال التطوير العملي للمنهج الإنساني، أن توطن تعاليمها ضمن الفرد، وتدار من القائمين عليها بحكمة ودقة عالية، فتحولت إلى جوهر طور المظهر، وأضفى عليه مسحة قبول الآخر والتعاون والتفاعل معه، فكان من ذلك ظهور حداثة المرء وتحديثه الدائم، ومعها أنتج، وغدا الإنتاج للبشرية جمعاء أهم وسائل حياته، مع حفاظه على فكر دينه الذي استوطنه في الجوهر، وعمل معه للتطوير والتقدم، وبمصارحة أكبر، لقد تحول الدين ضمن معتنقي الديانات الأخرى إلى حالة ثقافية، وبأدق من ذلك إلى تراث جميل وإيمان موضوعي، لا يستخدمه معتنقوه إلا في حالات خاصة، وضمن إحياء الطقوس الإيجابية والموضوعية والاحتفالات الرسمية، ومعه ومن خلال عدم القدرة على الاندماج مع المجتمعات الأخرى، أصبح من الطبيعي اتهام المسلم، أي مسلم من دون تمييز أو فرز، بالتطرف لمجرد أن يعرف بأنه مسلم، وبدأت أصابع الاتهام تشير إليه من كل حدب وصوب، وأكثر من ذلك، بأنه المسؤول عن استفاقة التطرف لدى الأديان الأخرى، معضلة كبرى أخذت تستشري بين البشرية، وهناك من أخذ يدعو للتخلص من المسلمين، والسؤال الآن: كيف نوقف ذلك، وكيف نعيد لهذه الشخصية حضورها وتشاركيتها مع الأمم الأخرى، والتفاعل مع دياناتها.

المفسر الإسلامي غرز في عقول المسلمين أن الجنة فقط للمسلمين، وأن النار للكافرين، وأن لغة أهل الجنة العربية، لن يدخلها الصيني، ولا الهندي، ولا المسيحي، ولا اليهودي، ولا أي معتقد، كما أن تعاليمه للمسلمين، أن جميع من دونهم كفَرة، فهل يعقل ذلك، ونحن في عصر الإبداع العلمي، نستخدم كل ما أنتجه الآخر الذي صنع الطائرة والسيارة والسفن والورق والقلم، وحتى الحصول على شهادات عليا في اللغة الأم العربية، وكل ما تحتاجه الأمم، من دون تفكير في دين أو تكفير معتبراً ما يقدمه خدمة للبشرية، وما دام أنه قادر على الإبداع والتقدم يفعل ذلك.

إن اجتراحات النظام العربي، لم تؤدِ حتى اللحظة لظهور أي عملية تطوير فكري حقيقي، علَى الرغم من امتلائه بالأيديولوجيات القادمة إليه من كل حدب وصوب، وأيضاً رغم مروره بعمليات تجريبية مثل محاولات اعتناقه الشيوعية والاشتراكية والرأسمالية، ومحاولات سيطرة الدولة الدينية على الدولة العربية، والعكس صحيح، وذلك كان ومازال بسبب اختلاف نظم حكمه بين ملكي وأميري وسلطني ورئاسي وبرلماني، وبقاء القاسم المشترك فيما بينهم الدين الإسلامي وتفاسيره، والإصرار على بقاء مصادر التشريع الأولى والأخيرة مصادر الإسلام ومذاهبه وطوائفه، ولذلك لم يمتلك القدرة على اتباع أو إنتاج فكر اجتماعي نوعي، يدير به الشؤون العامة والخاصة، ولم يقدر أيضاً على الترفع عن فلسفة الأنا، حيث آمن بأنا الكل، وحارب الفلسفة جوهر كل شيء، ومنه كان أن عين كل واحد متجهة إلى الآخر، وعليه تولدت صعوبات جمة، أبعدت النظام العربي عن قدرة الانخراط في عملية الإنتاج العالمي ومواكبة العلوم، أو الإسهام في إبداعاتها، والعالم أجمع يتجه إلى الاستناد إلى نظرية تقديم الرفاهية لمجتمعاته، بالبحث الاجتماعي والعلمي، إلا العالم العربي الذي أصبح عوالم ولغات وإثنيات، ورغم ذلك، نراه يتمسك أكثر فأكثر بالدين وعمليات التدين.

لقد حارب العربي المسلم دائماً بماضيه وفتوحاته، من خلال ثقافة مفسريه، مسألتي الصوفية والفلسفة، لكون الأولى دعت إلى وحدة الوجود، ووحدة الشهود، والثانية أسست لثقافة الشك بغاية البحث من أجل الوصول إلى اليقين، والاثنتان دعتا إلى توطين الدين في الجوهر الإنساني، وجسدتا مفهوم المركز الكوني والاشتغال أولاً للحياة الإنسانية، وثانياً تطويرها مادياً وأخلاقياً. وفي ما يتعلق بالتصوف، فلم يصل المفسر الإسلامي لفهمه على أنه حالة وسطية، أخذت بها جميع الديانات الوضعية والثقافية والسماوية، وأنه حالة تأمل، تحمل في غايتها الوصول إلى شيء وفهمه، ومن ثم منحه قيمة واسماً، ومن خلاله تتهذب الروح وتنتقي، وإن ما يجري الآن من دعوات للتصوف لا تمتلك أي عملية من تلك العمليات التي تمتع بها المتصوفون الحقيقيون والواقعيون، فليس الخلاص بالتقشف وهزّ الرؤوس، وليس التصوف لغة تخص الدراويش، إنما حالة تأمل كبرى، تحمل في طياتها تطوير الإنسان روحياً ومادياً، وتتشابه كثيراً مع الفلسفة التي شكلت جوهر العلوم، ما أدى إلى استنباط محاور العلم التقني والاجتماعي والأدبي.

مما تقدم أدعو جميع المشتغلين على مرتكزات الدين الإسلامي وتفاسيره، ومعهم الباحثون في صنوف العلوم والفلسفة والثقافة، للإسراع في تحليل مفهوم توطين الدين، وإذا كنا ننادي بفصل الدين عن الدولة، فإنني أعتقد أن أكثر ما يناسب عالمنا الإسلامي الآن، هو هذه الفكرة التي غايتها الأولى والأخيرة إعادة إحياء الشخصية العربية الإسلامية، من أجل إسهامها في حركة الوجود العالمي وتطويره.

د. نبيل طعمة

الوليد بن يزيد رجل دولة وشاعر في كليهما محدث

بين الشجاعة والخلاعة ضاعت مواصفات الرجل بأقلام المؤرخين!

إسماعيل مروة

ما من كلمة قالها الشاعر نزار قباني أثارت لغطاً، ما بين رفض واستحسان مثل كلمته (فتاريخك يا مولاي تاريخ مزور) فهل كان التاريخ مزوراً حقاً؟ أم إن الشاعر كان محكوماً بظرف وعاطفة عندما قال هذه الكلمة؟

من المعروف أن الظرف التاريخي لأي حادثة أو قول أو قصيدة ينظر إليه بعين الاعتبار، ففي الخيبات نجد الإنسان عاكفاً على استخلاص ما في روحه من خيبة، ولاصقاً ذلك بالتاريخ والبلاد والعباد، وفي اللحظات العادية نجده مفاخراً بالتاريخ والماضي! ولكن هل تمر مثل هذه اللحظة دون تأمل؟ من المفترض أن يقف أحدنا أمام النص وقفة مطولة، وقد شهدنا مثل هذا التضارب كثيراً، فهذا هو هارون الرشيد الذي نعت بأوصاف قاسية، واتهم في عقيدته وأسرته وحياته، جاء من نافح عنه ليخرجه حاجاً عاماً وغازياً عاماً آخر، فهل كان الرشيد كذلك، أم إنه كان كما صوره جرجي زيدان في روايته التاريخية التي تناقلها الناس؟ من المؤكد أنه لم يكن هذا ولا ذاك، وإنما كان إنساناً له صبواته، وله أمجاده، ولا يسره أن يكون أحد الاثنين اللذين وصلتنا أخبارهما..!

رسم للوليد بن يزيد

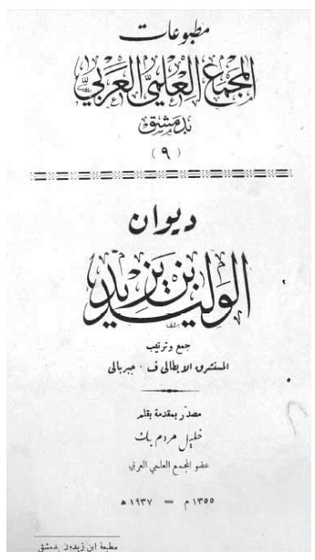

الخطوط العريضة والتفاصيل

اعتمد الدارسون العلميون أن الخطوط العريضة التاريخية لاشك فيها، وأن أي خلاف يكمن في التفاصيل، فما من أحد يمكن أن ينكر الدولة الأموية وخلفاءها بتعاقب السنوات، ولا العباسية وخلفاءها كذلك، لكن التفاصيل هي التي تخضع للتحوير والتغيير، وهي التي تدخل فيها مجموعة من الأسباب التي قد تغيرها جوهرياً، فالهوى سبب، والميل السياسي سبب، والميل المذهبي والطائفي سبب، والانتماء سبب، وهكذا نجد أن ما يبعدنا عن جوهر الحقيقة أكثر بكثير مما يقربنا، وتتراكم الأحاديث التي لا قيمة لها ليتناقلها الناس بشغف، لتتحول إلى حقائق، وتغيب الصورة وراء ستار من عدم الرغبة في القراءة، وقد يتسلل هذا الأمر إلى نقاد وعلماء من الثقات الذين يدفعهم رأيهم العقيدي إلى إدانة هذا وتبرئة ذاك، فكم من شخصية خلافية ظلمها الهوى، ولم تفلح معها الأصوات المنصفة؟ ناهيك عن أن أي دراسة جادة لا يمكن أن تحل محل الثقافة الشفاهية التي تناقلتها الأفواه لتصبح فيما بعد صفحات في الكتب.

الوليد بن يزيد

تتناقل كتب الأدب والتاريخ الكثير عن الوليد بن يزيد، خليفة أموياً، وشاعراً مقدماً ومحدثاً، وربما كان لشعره وأدبه ومجالسته الإسهام الأكبر في العناية به وبأخباره، ومع أنه تولى الخلافة الأموية بعد عمه هشام بن عبد الملك بوصية عقدها له والده يزيد بن عبد الملك بعد أخيه هشام، إلا أن سيرته حتى في خلافته اقتصرت على شخصه وأدبه، ولم نعرف الكثير عن خلافته وحكمه، إلا عبارات إنشائية لا تقدم وصفاً ولا تحليلاً، وقد عدت إلى ما كتب عنه، فوجدته كله يصب في إدانة الوليد وحياته، وفي أحسن الأحوال كان نقاد الأدب يشيدون بأنه شاعر محدث، وبأنه أول من خرج عن القصيدة التقليدية، وأن شعره في اللهو والشراب والخلاعة هو منهل أبي نواس والحسين الخليع، فهل كان الوليد بن يزيد كذلك؟

المؤرخ والناقد الثقة الدكتور عمر فروخ في كتابه (تاريخ الأدب العربي) كان من أكثر المنصفين والمدققين في مواضع كثيرة من تاريخه الضخم، لذلك عدت إليه لأقرأ ما كتبه عن الوليد، ولكنني وجدته يتابع الذين نقل عنهم دون أن يعطي رأياً مخالفاً، ودون أن يقف عند إشارات كانت كافية ليفصل بين الحياة التي عاشها الوليد شاعراً وإنساناً، وحياة السلطة والحكم..

يذكر نقلاً عن المصادر «ولد الوليد بن يزيد سنة ٩٠هـ. أراد أبوه يزيد بن عبد الملك أن يعقد له ولاية العهد، فقالوا له إن الوليد طفل فاجعل ولاية العهد لأخيك هشام ثم لابنك الوليد ففعل. وتوفي يزيد بن عبد الملك سنة ١٠٥ هـ فخلفه أخوه هشام وبقي في الخلافة عشرين سنة، وكان في أثناء ذلك يسعى إلى تحويل ولاية العهد إلى ابنه مسلمة فلم يتأت له ذلك».

في هذا الخبر لا يستوقفنا سعي هشام للعقد لابنه مسلمة ونكص العهد مع أخيه يزيد؟ عشرون عاماً من خلافة هشام وهو يسعى لابنه أليست كافية لنقل صورة للوليد تبعده عن الخلافة لصالح ابنه مسلمة؟

لا تذكر الكتب عن الوليد في العشرين سنة سوى اللهو والشراب والخلاعة، فأين دوره السياسي المنوط به؟ عمه والطمع في العقد لابنه ألا يمكن أن يكونا وراء انغماس الوليد إن انغمس، ووراء تشويه صورته ليكون غير قادر على السياسة والحكم بنظر أولي الأمر؟

ويتابع د. فروخ الخبر بحياد «ولما توفي هشام سنة ١٢٥ هـ خلفة الوليد، والوليد هذا كان من فتيان بني أمية وظرفائهم وشجعانهم وأجوادهم وأشدائهم، منهمكاً في اللهو والشراب وسماع الغناء، مستهتراً بالمعاصي عاكفاً على اللذات منتهكاً للحرمات زنديقاً، فلما ولي الخلافة أمعن في ذلك كله وترك أمر الدولة، فساء الناس ذلك منه وأطمع به الطامحين إلى الخلافة فقتلوه سنة ١٢٦ هـ.

لم يكمل الوليد عاماً في الخلافة، لكن إشارات في هذا الخبر تستحق الوقوف عندها، فأنا أمام طامحين طامعين بالخلافة، قتلوا الخليفة، ما دور هؤلاء في إبعاده، والإساءة إلى صورته؟ وإن كان قد ساء الناس حقاً لخُلع وما قُتل! أليس القتل طريقاً لإنهاء ما يعجز عنه الآخر؟

وفي الخبر ثلاث كلمات تستحق الوقوف عندها: الشجعان والأجواد والأشداء، فهل من يملك هذه المواصفات يمكن أن يكون بذلك السوء الذي نقله أصحاب الهوى؟ ونلاحظ التناقض، مقابل الشجاعة والجود والشدة، استهتار بالمعاصي، انتهاك للحرمات! هل يفعل الجواد ذلك؟ أم إنها صورة أرادها خصومه الطامحون والطامعون؟!

الأخبار ودلالتها

قرأت الوليد وديوانه وأحببت شعره، وفروخ يصفه: كان الوليد شاعراً مجيداً في الخمر خاصة له فيها أشعار كثيرة أخذها الشعراء، فأدخلوها في أشعارهم أو سلخوا معانيها كما فعل أبو نواس والحسين الخليع بن الضحاك.. ولو قرأنا شعره عند نعي هشام نلمس تلك الفرحة، ويظهر الصراع الخفي إلى العيان:

طاب يومي ولذّ شرب السلافه
إذ أتانا نعي من بالرصافه
وأتانا البريد ينعى هشاماً
وأتانا بخاتم للخلافه

أين الشجاعة والجود والشدة في كل ما وصلنا من أخباره؟! لا وجود لشيء من ذلك، وهذا يصدّق قول من لا يثق بكتب التاريخ المخلصة للتاريخ، والذي ينعتها بأن من يكتبها الحكام والأقوياء، ومن المؤكد أن الوليد بعد مقتله من الطامحين لن ينصف، فأين دور جامعي الأخبار لإنصافه؟

جاء في أخبار عديدة اعتراض الوليد على استبداد حكام بني أمية، وهو شخص يطمح إلى شيء من حرية، وفي حياة قصيرة وخلافة أقصر شتم القسوة والاستبداد، فمن الطبيعي أن يتخلص منه خصومه.

وفي جلسة مع الصديق د. محمد شفيق البيطار كان يحدثني عن أهمية جمع الأخبار، وإجراء مقارنات، ذكر خبراً عن الوليد بن يزيد استرعى انتباهي فاستكبته، وأثبته، وهو إن دل فإنه يدل على صفات الشجاعة والحكمة، ولا يدل على استهتار وقصر نظر وانغماس كما صوروه.

«حدثني خالد بن كلثوم وغيره عن حماد الراوية قال: كنت عند الوليد يوماً فدخل عليه رجلان كأنهما كانا منجمين، فقالا: قد نظرنا فيما أمرتنا به، فوجدناك تملك سبع سنين مؤيداً منصوراً، تستقيم لك الناس ويزكو لك الخراج.

قال حماد: فاغتنمتها، وأردت أن أخدعه كما خدعناه، فقلت: يا أمير المؤمنين كذبا، نحن أعلم بالرواية والآثار وضروب العلوم منهما، وقد نظرنا في هذا ونظر الناس قديماً، فوجدناك تملك أربعين سنة الحال التي وصفا.

قال: فأطرق الوليد ثم رفع رأسه إلي، فقال: لا ما قاله هذان يكسرني، ولا ما قلته يغرّني، والله لأجبين هذا المال من حلّه جباية من يعيش للابد، ولأصرفنه في حقه صرف من يموت غداً».

عدا فكرة تحديد سنوات الملك من المنجمين ومن حماد، والذي لم يصح لكليهما، فقتل الوليد، إلا أن ما يلفت الانتباه، ويستحق التوقف عنده تعبيره (لأجبين المال من حله، ولأصرفنه في حقه) وفي هذا التعبير قمة الورع، فهو لا يأخذه إلا من حله، وقمة العدل فهو يصرفه في حقه، فهو على هذا لن يصرفه على ملذاته، ولن يكون مستهتراً بحق الناس وأموالهم المجباة..

ألا تستحق هذه الأخبار أن تناقش، وأن تكون في سيرة الرجل مع حياته مهما كان الخلاف معه عليها وعلى مجونها ولهوها؟

اصدع نجيّ الهموم بالطرب
والغم على الدهر بابنة العنب
واستقبل العيش في غضارته
لا تقف منه آثار معتقب
من قهوة زانها تقادمها
فهي عجوز تعلو على الحقب
أشهى إلى الشرب يوم جلوتها
من الفتاة الكريمة النسب

هذا هو الوليد الشاعر، الذي لا يخلو شعره من تزيّد في الرواية كما حصل في حياته، ولكن حياته كانت خاضعة لأمزجة الطامحين والطامعين، ألم يقل حماد أن نخدعه كما خدعناه؟! ولكن هل خُدع الوليد؟

شخصيات كثيرة في تاريخنا تحتاج إلى القراءة والتقويم، ولا يكون ذلك اليوم إلا من الأخبار المنثورة ومعالجتها، ويكفي أن يقف أحدنا عند مفارقة الصفات من شجاعة وجود وشدة وتنافرها مع الصفات المرذولة من انتهاك للحرمات وغيرها، ولعل دمج الحياة الخاصة بالحياة العامة، واختيار المؤرخين الذين اختارتهم السلطات من أهم عناصر التوفيق في تشويه الشخصيات، وجميعها ركز في السلب والإيجاب على صفات تجلب أو تنفر الآخر من هذه الشخصية أو تلك!

فهل كان الوليد بن يزيد شجاعاً نبيلاً أم منتهكاً مستهتراً؟

إنهما لا يجتمعان في رجل دولة..

ألا يشكل هذا الخبر وغيره من أخبار الحجاج وسواه فرصة لإعادة قراءة تفاصيل الخبر التاريخي؟ ألا يشكل دافعاً لكتابة التاريخ بعيداً عن الهوى والميول السياسية؟

أزعم أن شخصيات كثيرة ظلمها المؤرخون فقزموها، وأخرى تجاوزوا الحد في تمجيدها!

وما عشناه من تاريخ قريب، وما نعيشه، وما نقرؤه يؤكد أن الأقلام ليست ألسنة الحق، بقدر ما هي ألسنة الحقد والمصلحة!

> الحياة الخاصة هل تمثل معياراً للحكم على رجل الدولة؟!

الجار أولى بالجار

الجيرة في تراثنا الشعبيّ... جارك القريب ولا أخوك البعيد

منير كيال

يلحظ من يتجوّل بحارات مدينة دمشق، تعرّج هذه الحارات، وتداخل دورها بل تراكب هذه الدور، كما يلحظ عدم وجود باب لأي من هذه الدور مقابل باب بيت آخر من الحارة، وإن المرء إذا دخل إلى أيّ من دور الحارة فلابدّ أن يمر بدهليز أو ممر يمتد بضعة أمتار، لينعطف نحو باحة الدار «أرض الديار».

وهذه أمور ترتبط بما كانت عليه دمشق من تحابّ ومراعاة لحرمة الآخرين فالدور المتراكبة والمتداخلة، إنما هي شكل من أشكال التآلف والتوادّ، ذلك أنه لم يكن هناك إشكال أو خلاف بين الجار وجاره إذا قام هذا الجار بركوب حائط جاره لبناء غرفة أو مخدع، ولا غضاضة بوجود فتحة أو طاقة بالطبلة، الجدار الفاصلة بين دار هذا الجار ودار جواره والجدير بالذكر أن مثل هذه الفتحة كانت غالباً ما تتخذ لتبادل سكب الطعام بين الجوار، بل تبادل أطراف الحديث بين الجارة وجارتها.

ويتناقل أهل دمشق قصة مفادها، أنّ أحد الجيران رغب في أن يزوّج ابنه، ولم يكن لديه غرفة فائضة يسكن ابنه المرشح للزواج، فطلب إلى جاره أن يسمح له ركوب طبلة بيت جاره، لبناء الغرفة، فما كان من هذا إلا أن قال لجاره إن أكتافنا تحمل غرفة لزواج ابنك، إذا لم تحملها طبلة بيتنا، لأن ابنك هو ابننا وسعادته تسعدنا.

وفي حقيقة الأمر أن هذه الروح في المعاملة بين الجوار، إنما هي مستمدة من التعاليم الإسلامية التي حرصت على حسن التعامل بين الجوار، وحسن التصرف معهم بل مساعدتهم، أكان ذلك بين المسلمين، أم بين المسلمين وأهل الكتاب، وقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: «والجار ذي القربى والجار الجنب».

وقد ورد عن النبي (ص) قوله:

ما زال جبريل يوصيني بالجار حتّى ظننت أنه سيورثه، وكان صلى الله عليه وسلم أسوة في بيان كيفية التعامل مع الجوار، فيروى أنه كان يسكن بجوار النبي (ص) جار يهودي فلما مرض هذا الجار، عاده النبي ليطمئن عليه، فخير الناس أنفعهم لجاره.

وقد رسمت لنا أمثالنا الشعبية الأطر التي ينبغي أن تكون بين الجوار، فالعلاقة بين الجوار، امتداد طبيعي لروابط الأسرة، وقد تفوقها في بعض الأحوال وفي ذلك المثل الشعبي.

جارك القريب.. ولا أخوك البعيد.

وكذلك قولهم: الله أوصى بالجار، وقولهم: الجار أولى بالشفعة ومن أمثال العرب:

ربّ بعيد أقرب من بعيد.

أخوك من واساك بنشب، لا من واساك بنسب.

وقد فرضت العلاقات الاجتماعية على الجوار، نوعاً من الارتباط والتكامل، تولّد عن المشاركة التي فرضتها الجيرة، فالجار أقرب لجاره وهو يشاركه أفراحه ويسعفه بأتراحه، حتى قيل: ربّك أعلم بك.. وبجارك.

فالجار والحال هذه يتحمّل عن جاره جانباً من مسؤولية العلاقات الاجتماعية بالمناسبات التي تستدعي ذلك، فهو حريص على عرض جاره وشرفه.

وكان بالدور التي يقطن الواحدة منها عدد من الجيران، أن يكون لكل جارة دور للقيام بأعمال تنظيف باحة «أرض ديار» ذلك البيت من كنس ومسح وشطف، وصادف أن كانت إحدى الجارات تقوم بتنظيف أرض الديار، وأن قدم أحد القاطنين يريد الدخول إلى سكناه، فعمدت تلك الجارة إلى التقبع بروبها «فستانها» لتغطية شعرها فأدى ذلك إلى كشف ساقيها، وهي تقول: تفضل جارنا... إن شاء الله متل أخي.

ولعل هذا ما يبرر قول المثل الشعبي:

جارك متل أخاك، إن ما شاف وجهك شاف قفاك.

ويحضرني في هذا المجال قول الشاعر:

وأغضّ طرفي ما بدت لي جارتي
حتى يواري جارتي مأواها

وإذا كانت العلاقة بين الرجال من الجوار، قائمة على التعاون والإيثار والودّ والنخوة.. فإن العلاقة بين الجارات من النساء، كانت على غير ذلك، لأنها كانت تعتمد على الوقوف على كل كبيرة وصغيرة من حياة كل منهن، وقد شمل ذلك الرغبة بالاطلاع على كل ما ترتديه الجارة وما تتزين به لزوجها، وما هي عليه من حماتها أو بنات حميها، بل سلفتها وضرتها.. وبالتالي ما هي عليه الجارة من علائمة الرّفاهية أو الترف، وفي ذلك قول المثل الشعبي:

لو كانت إسوارتي أوقية (٢٠٠ غرام) مالي عن جارتي غنية (مستغنية).

حتى كان اجتماع الجارة بجارتها من الأمور التي لا غنى عنها، بل لابد منها، حتى إن منهن من كانت تعدّ قهوتها وتأخذها لعند الجارة لتناولها خلال ما يجري بينهما من أحاديث وما تتسقط كل منهما من أخبار عن الأخريات، ولا يخلو ذلك من الخوض بخصائص الأسرة ودخائلها التي لا يجوز أن تشاع بين الآخرين.. لما قد يشوب ذلك من نقد أو تجريح أو دسّ وافتراء، ومن ثم التعقيب على كل صغيرة وكبيرة من حياة الجارات الأخريات، وقد صور لنا المثل الشعبي ذلك بقوله:

لولاك يا جارتي لطقت مرارتي.
يللي ما بيغارر من جارته... بتطق مرارته

وكان استرسال الجارات بتسقط أخبار الأخريات وتناول حياتهن بالقيل والقال والتأويل مما يوقد نار الحسد والغيرة، وقد ينجم عن ذلك الشحناء وسوء الظن وقد نجم عن ذلك انتشار عدد من الأمثال الشعبية التي تتناول الدعوة إلى الحد من التعامل بين الجارات ومن ذلك:

فوتة الجار لعند الجار... أولها مذلّة وآخرها معيار

يا جاري أنت بحالك وأنا بحالي

إن شفت جارة سبّت جارتها.. مالك عندها سِت «سيدة» الجيران.

وبالتالي فإن تلك الشحناء بين الجوار، قد ينجم عنها ما لا تحمد عقباه، وتصل العلاقة بين الجيران إلى طريق مسدود، وخاصة إذا وصل الأمر إلى الرجال... وقد نقل لنا المثل الشعبي ذلك بقوله:

إن جار عليك جارك حوّل باب دارك.

أما إذا تمادى الجار في تعامله العنيد مع جيرانه، ولم يرعِ ولم يعد إلى ما هم عليه الجيران من توادّ وتحاب وإيثار ينطبق عليه المثل القائل: كوم حجار.. ولا هالجار.